

الدولة الكيانية

أو

الدولة الفارسية الثانية للعراق

سنة ٥٣٨ ق م - سنة ٣٣١ ق م

في أواسط القرن السادس قبل الميلاد سنة ٥٥٢ ق م أو سنة ٥٥٠ ق م ظهر أرمركورث الثانى الملقب بكورث الأكبر بن قنبوسيا فنهض بقومه الفرس وأخضع الميديين ^(١) والعيلاميين بعد أن دانت له فارس فتوج ملكاً وأصبح إمبراطوراً على هذه الأقاليم الثلاثة (فارس وميدية وعيلام) وأسس دولة الكيانيين

(١) الميديون سكان مديا أو مدينة أو بلاد مارى ويقال ماذى وهى التى عرفت أخيراً بأذربيجان والعراق العجمى معاً ويقال لها مدينة أيضاً ويسمى هذا الأقليم بلاد الجبل أيضاً ومن أقسامها شهر روز وحلوان . وهم أى الميديون من الجنس الأرى أخوان الفرس والأفغان والأرمن وغيرهم من الأريين ومن بقاياهم الآن الأكراد . وكان لهم دولة قديمة كبيرة خضع لحكمها الفرس مدة ثم استولى عليها كورث وصارت جزءاً من بلاد فارس .

المشهوره . وعلى أثر ذلك تحالفت مملكة بابل ومصر ولديا ^(١) على هذا الفاتح فلم يغن تلك الممالك ذلك التحالف الثلاثي لأن كورش حمل بجيوشه الفراسية على الليديين أولاً وقرض دولتهم سنة ٥٤٦ ق م ، وتوغل في آسيا الصغرى إلى مملكته بلاد مستعمرة الإغريق التي كانت على شواطئ آسيا الصغرى ثم فتح بخارى ومرو وديار الأفغان وبلوجستاك ثم حول نظره إلى مملكة بابل فحمل عليها سنة ٥٣٨ ق م ، بجيش جرار فخرج للدفاع بلطشاصر بن الملك البابلي بنو ناهيد وبعد عدة معارك انكسرت في جميعها الجنود البابلية وقع بلطشاصر قتيلاً في المعركة الأخيرة وانهزمت جيوشه وتحصنت في عاصمة الملك مدينة بابل فالقى الحصار عليها كورش بعد أن استولى في طريقه على عدة مدن وبعد حصار طويل دافع في خلاله البابليون دفاع الأبطال استولى كورش على بابل عنوة وأسر الملك نبوناهيد وأهله وساقهم إلى كرمان ^(٢) .

وعلى أثر سقوط مدينة بابل عاصمة العراق سلمت جميع المدن العراقية لكورش في السنة نفسها (سنة ٥٣٨ ق م) وانقرضت الدولة البابلية الثانية أو المملكة الكلدانية على يد الفاتح بعد أن دامت ٧٣ سنة كما تقدم .



سبب أو ليديا تطلق على إقليم الأناضول الغربي . وهي قطعة كبيرة فيها بلاد كثيرة وكسنت عاصمتها مدينة سارد وقد استولى على هذه المملكة كورش فجعلها عدة إمارات ثم استولى عليها الإسكندر ثم السلوقيون ثم الروم .

^(٢) ومات نبوناهيد بعد أيام قليلة في الأسر وكان ضعيف الرأي سيء التقدير .

كورش والبابليون

دخل كورش مدينة بابل - كما يقول المؤرخون دخول منقذ مصلح - فلاقاه أهلها بالتهليل والتصفيق - شأنهم مع كل فاتح - واستقبلوه بالترحيب والسرور - وتلك عادتهم مع كل قوى - فأظهر لهم الولاء والرقعة والرأفة وجمالهم وعطف عليهم ووالاهم وسائرهم وبالغ في احترام دياناتهم وعاداتهم وامياهم وأطلق لهم الحرية التامة في العالم والعمل والدين وأبقى قوانين البلاد وشرائعها على حالها وأقتدى بملوكهم الأولين فدخل هيكل الأله بيل ومسك بيده وقرب للآلهة القرابين وقدم لهم التحف^(١).

وأخذ لقب ملك بابل لنفسه وعمل كل ما من شأنه أن يجذب إليه قلوب البابليين ولم يخرب شيئاً من بلادهم لذلك لم يسقط من مدن العراق شيء وبقيت مدنه جميعها زاهرة عامرة من جملتها مدينة أور فأثما كانت في عهده عامرة زاهرة ولكنها كانت حينذاك من أصغر المدن العراقية ومع ذلك فإن كورش سعى لتجديد بعض هياكلها وقام بعمل في سبيل خدمة هيكل الأله القمر (آله أور) وقد وجد السنقابون أخيراً في اطلال هذه المدينة (سنة ١٩٢٣ م) آجرة كتب عليها اسم هذا الفاتح أستدلوا منها على أنه عمر وجدد هذا الهيكل ويقول بعض المؤرخين أنه

(١) فعل ذلك كورش وهو على دين زردشت الذي ظهر بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وعمله هذا يدل على أنه كان على جانب عظيم من الدهاء والسياسة الرشيدة التي بما تسوس الحكومة العناصر المختلفة .

جدد عدة هياكل كانت في مدن العراق وأرجع كلاً إلى موضعه من تماثيل الآلهة التي كان قد جمعها في مدينة بابل الملك نبونا هيد من المدن العراقية أثناء الحرب لتنصره على كورش.

ولم يشتهر كورش بسياسته الرشيدة ومراعاته عواطف الشعوب واحترامه لديانتهم وعاداتهم وأميالهم فحسب بل أنه أشتهر بتنشيط التجارة وتوسيع الزراعة كما أشتهر بالفتوحات والأنتصارات لذلك تمتع العراقيون في عهده بالحرية التامة وكثرت ثروة بلادهم واتسع نطاق الزراعة في أرضهم بما حفزه هذا الملك من الترع والأهبار وما بثه من العدل والأمن في أنحاء البلاد ومن أجل ذلك أحبوه كثيراً حتى أن أكثرهم تجندوا وقاتلوا في الحروب تحت رأيته مع أن سكان البلاد كانوا حينذاك قد قل عددهم على ما يقوله بعض المؤرخين .

وبعد أن تم أمر كورش في العراق أناب عنه نائباً فيها أحد قواده وضرب عليها خراجاً معلوماً (ضريبة سنوية) وسار بجيشه قاصداً فتح سورية فأفتتحها ثم أفتتح فلسطين " سنة ٥٣٦ ق م " وعى أثر فتحه فلسطين أصدر أمراً بإطلاق حرية اليهود الماسورين في بابل من عهد الملك بختنصر وأذن لهم بالرجوع إلى وطنهم أورشليم وفي بناء الهيكل بعد أن داموا بالأسر أعواماً ذاقوا فيها أنواع المصائب وضروب النوائب وولى على فلسطين زربابل أحد أحفاد يهوياكيم ولقبه بلقب (بها) أى الحاكم بالفارسية ، فسار من العراق نحو الستين ألفاً منهم إلى وطنهم وأختارت جماعة كبيرة منهم السكنى في العراق .

ومات كورش ^(١) ذلك الفاتح العظيم والسياسي الكبيرة " سنة ٥٢٩ ق م " .

(١) ويسمى قورش وقيروش وكيروش وسماه بعضهم كنجسرو . وكانت عاصمته شوشن .

بعد أن أسس الدولة الكيانية الفارسية العظيمة راعلا شأن الفرس وترك لأعقابه مملكة تضم بلاداً كثيرة وإمارات جسيمة وتمتد من شواطئ البسفور غرباً إلى نهر السند شرقاً . وكان سبب موته أنه أراد تدويخ قلب آسيا فجرح في معركة في محل قريب من أحد ضفتي سرداريا (نهر سيحون الذي يسميه الأقدمون يكسرتس) ومات من أثر ذلك الجرح بعد أن حكم ٢٩ سنة .

ثورة البابليين الأولين

تولى عرش الدولة الكيانية بعد كورش أبنة الأكبر قمبيز^(١) (٥٢٩ ق م - ٥٢١ ق م) وكان سلوكه كسلوك أبيه مع البابليين ومن أجل ذلك أحبوه كما أحبوا أباه قبله وأحترموه ولم يحدث في أيامه بالعراق ما يكدر جو السياسة أو ما يخل بنظام البلاد وإداراتها .

فلما مات قمبيز حين عودته من مصر قاصداً بلاد مادي التي أجلس على سريرها برديا^(٢) اضطربت شئون الدولة الفارسية وطمع بما أمراؤها وكثرت فيها الفتنة الداخلية فأغتم البابليون فرصة ذلك الانقلاب فثاروا على الفرس الذين في

(١) ويسمى قامبيز وكمبيز وكتباسوس وكتبوسيا وكمبوزيا وكمبوسوس وكمباسوس

وقامبوجيا . ويسميه اليونان كمبوس وسماه بعضهم كيكوس .

(٢) وسماه بعضهم غوماتو وبعضهم غاماليس وآخرون سمرديس أو سمرديز ويروى أنه كان

كاهناً فأغتصب الملك في ميديا وقتل هو أحد الحكام الفرس .

بلادهم فقتلوهم وأعلنوا الاستقلال وملكوا عليهم أحد أعقاب الملك نبونا هيد المدعو ندين توبيل (ندين تايل) وأجلسوه على سرير بابل فلقب هذا الملك نفسه نبو كد نصر الثالث وأعلن الاستقلال التام وأستعد للدفاع عن بلاده غير أن ذلك الاستقلال التام لم يدم غير سنتين تقريباً (٥٢١ ق م - ٥١٩ ق م) لأن الفرس اجتمعت كلمتهم على دارا الأول (٥٢١ ق م - ٤٨٥ ق م) فقمع الفتن الداخلية ودع الأمراء الطامعين بالملك واستب أمره في البلاد ثم زحف على بلاد بابل بجيوشه الفارسية .

دارا الأول

حمل دارا على بابل فخرج لملاقاته ملكها ندين توبيل بجيوشه العراقية والتقى الملكان بالقرب من دجلة في أراضي آشورية فأنكسر الجيش العراقي وأضطر إلى الانسحاب فعبر دجلة ونزل على ساحل الفرات فلحقه دارا وهناك حدثت حرب شديدة انخزل في آخرها البابليون وأهزموا إلى عاصمتهم مدينة بابل وتحصنوا فيها . أما دارا فإنه جد بالمسير بعد ذلك النصر حتى ألقى الحصار على مدينة بابل فدافع ملكها ومن معه دفاع المستميت أياماً حتى عجزوا عن مقاومة الفرس لكثرة عددهم وعددهم فسقطت عاصمتهم سنة (٥١٩ ق م) ودخلها دارا ظافراً وقتل ملكها ندين توبيل الملقب نبوكد الثالث الذي لم يملك غير سنتين تقريباً قضاها في إعداد المعدات الحربية دفاعاً عن حقه الصريح وحفظاً لاستقلال بلاده .

سقطت بابل فسلمت جميع المدن العراقية لدارا وخضع الحضرة والبدو له . وبعد أن نظم شؤون البلاد ولى عليها حاكماً عاماً أحد قواده المسمى زوبوروس (زبور) وعاد إلى مقره ورجعت الأمور كما كانت في عهد كورش وأشتغل العراقيون بالتجارة والزراعة وزادت ثروة بلادهم وعاشوا في بجموحة الأمن

والسعادة تحت راية دارا الأول المشهور بالعدل وحب العمران والولوع في كل مايرقى التجارة وينشط الزراعة ويجلب الخير والسعادة إلى رعاياه .

ثورة

البابليين الثانية

مات دارا الأول فتولى عرش الفرس ابنه سرخس الأول (٤٨٥ ق م - ٤٦٥ ق م) فخضع لسلطانه البابليون بادئ بدء ثم ثارو عليه سنة (٤٨١ ق م) وقتلوا حاكمهم الفارسي زوبيروس الذى ولاه دارا وأعلنوا الاستقلال - غير أننا لم يصلنا سبب ثورتهم هذه ولا أسم الملك الذى اجلسوه على عرش مملكتهم - فجهز لهم سرخس جيشاً كثيفاً بقيادة مغابير (مكاميز) ابن زوبيروس المقتول فحمل عليهم هذا القائد وبعد حروب انتصر عليهم وأستولى على عاصمتهم مدينة بابل وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً ونهب هيكل الآلهة وأمر بهدمه وقتل رئيس كهنته وحمل خزائنه وثمانيله إلى خزائن سرخس وأسر عدداً كبيراً من ذوى الوجاهة والثروة والشرف واستعمل منتهى الشدة والعنف واضهد أهل البلاد فخضعوا للقوة وظلوا خاضعين بعد تلك النكبة للفرس ولم تبد منهم أدنى حركة أو ثورة في

عهد هذا الملك ^(١) وعهد خلفائه أردشير الأول ^(٢) (٤٦٥ ق م - ٤٢٤ ق م) وسرخس الثاني ^(٣) (٤٢٤ ق م - ٤٢٣ ق م) ودارا الثاني ^(٤) (٤٢٣ ق م - ٤٠٥ ق م) وأردشير الثاني الملقب منه مون (٤٠٥ ق م - ٣٥٨ ق م) الذى قاتله اخوه كيخسرو على الملك بمساعدة اليونان ففشلوا وعادوا إلى بلادهم وسميت رجعتهم رجعة الأئى عشر ألف ^(٥) وأردشير الثالث ^(٦) (٣٥٨ ق م - ٣٣٨ ق م) ودارا الثالث (٣٣٨ ق م - ٣٣١ ق م) الذى سماه بعضهم قودومان ولم تحركهم الاضطرابات الداخلية ولا ضعف الدولة الفارسية خصوصاً في عهد الملك الأخير دار الثالث الذى تبوأ عرش المملكة في وقت كانت فيه الدولة الفارسية ضعيفة جداً من توالى الاضطرابات والفتن فيها .

(١) سرخس الأول يقال قتله أحد قواده المدعو آرتابانوس على أثر إنكساره في حرب اليونان .

(٢) يسميه بعضهم ارتجزرسيس الأول وبعضهم ارتحشتا وارتخيارش وعدوه من حكماه الفرس وعلماهم وقد نقل للعرب عنه حكماً كثيرة إلى العربية وسماه بعضهم آزدشير وكان يلقب درازدست .

(٣) يسميه بعضهم اكزرسيس الثاني .

(٤) واسمه اوخوز أو أوغوس ويروى أنه تولى بعد صغديان الذى خلف سرخس الثاني .

(٥) على ان هذه الدولة - الكيانية - كثيراً ما كانت تعلن الحرب على اليونان طمعاً في بلادهم ولقد قامت بين الدولتين عدة حروب اشتهرت في التاريخ القديم لا محل لذكره في هذا المختصر .

(٦) ويعرف باخوس ايضاً ويروى أن خلفه آرساس ثم تولى بعد آرساس دارا الثالث

انقراض

الدولة الكيانية الفخراسية

وقيام

الدولة اليونانية

لم يتخلص العراقيون من الاستعمار الفارسي حتى حمل الإسكندر المقدوني على مملكة الفرس في عهد دار الثالث الذي جلس على سرير الملك في الوقت الذي كانت فيه الدولة الفارسية في اضطراب مستمر فزادها هذا الملك ضعفاً واضطراباً لعدم كفايته وقلة تجاربه فأنقضت تلك الدولة العظيمة على يد بطل اليونان الإسكندر بعد ثلاثة وقائع مشهورة الأولى وقعة الغرائق التي حدثت سنة ٣٣٤ ق م والثانية وقعة أسوس^(١) التي جرت سنة ٣٣٣ ق م والثالثة معركة أربيل^(٢) التي وقعت ٣٣١ ق م وهي التي قضت على تلك الدولة وقرضتها من العراق بعد أن فتح الإسكندر من الفرس جميع ما كان لهم من البلاد والمستعمرات عدا بلاد فارس التي استولى عليها بعد فتح العراق ومحي تلك الدولة من عالم الوجود .

بعد أن انقضت الدولة الكيانية الفارسية العظيمة انجد المترامية الأطراف على يد الإسكندر وتم الأمر في العراق لليونان بعد وقعة أربيل ثم دانت لهم بلاد فارس بعد قتل دارا الثالث بقى العراق تحت حكم الإسكندر ثم انتقل إلى خلفائه

(١) أسوس مدينة بكلسيا .

(٢) أربيل هي أربل أو أربيل الحالية وهي قديمة جداً .

السلوقيين وكانت مدة حكم اليونان في العراق (٢٠٥) سنوات ٣٣١ ق م -
١٢٦ ق م ، وذلك منذ أن افتتحه الإسكندر إلى انقراض الدولة السلوقية اليونانية
على يد البرتيين الفرس .

تتمة لما سبق

كانت بلاد العراق (مملكة بابل) في عهد الدولة الكيانية مربوطة باتاوه
تدفعها للدولة الفارسية كغيرها من الولايات وكان لها حاكم عام مطلق يدير دفة
السياسة والإدارة والحرب معاً ويولى العمال على المدن وكان لكل مدينة مجلس
قضائي يسير على ما جاءت به شريعة البلاد لأن هذه الدولة كانت قد أبقّت قوانين
البلاد رجالاً وشرائعها وعاداتها على حالها . وكانت في الغالب تولى على الالايات
رجالاً من العائلة المالكة وتخول لهم السلطة التامة وكان الحاكم الذي يتولى إحدى
الأقاليم يسمى سائراب وفي رواية أنها كانت قد جعلت في كل ولاية ومدينة هيئة
عدلية مؤلفة من جماعة أكثرهم من كهنة الفرس .

أما الدين الرسمي للدولة الكيانية فهو دين زردشت أو زورواستر أو زرادشت
الذي ظهر في الفرس بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وأدعى النبوة وأنه
مرسل من الله وأنه جاء من عنده بكتاب سماوى ، وقد جاء زردشت بقوانين دينية
ونظامات سياسية ومدنية ووضع لقومه كتاباً سمي الزانداستا ضمنه جميع تعاليمه
وإرشاداته الدينية وعلى توالى الأعوام أصبحت شريعته رسمية في بلاد فارس وترك
الفرس ديانتهم القديمة التي كانوا عليها منذ العصور الواعلة في القدم وهي عبادة
القوى الطبيعية المختلفة وخاصة الشمس . ولا يسعنا هنا ذكر ما جاءت به شريعة

زردشت وما يعتقده اتباعها وما حدث عليها أخيراً من التغيير والتحرير والتحريف .
غير أن هذا الدين لم ينتشر في العراق أيام الكيانيين لأنهم لم يجبروا أحداً على اعتناقه
ولذا لم يعتنقه أحد من أهل هذا القطر وظل منحصرأ في الجالية الفارسية التي
استوطنت البلاد حتى جاءت الدولة اليونانية ثم الدولة البرتية ثم الساسانية فكثرت
اتباع هذا الدين من الفرس لتوالى الدول الفارسية على هذه البلاد فلما جاء العرب
المسلمون قرضوه بالتدرج كما قرضوا البقية الباقية من ديانة البابليين " الوثنية "
التي قرضتها النصرانية تقريباً قبل الفتح الإسلامى .

